المكان في روايات عبدالله صخي(خلف السدة، دروب الفقدان، اللاجئ العراقي)

م . م . سعد عبد السادة مزعل

كلية الهندسة – الجامعة المستنصرية

الكلمات المفتاحية: رواية، المكان، عبد الله صخي

الملخص:

عبد الله صخي: كاتب روائي ولد وتلقى تعليمه في العراق، لهُ روايات كانت لها الفضل في تسليط الضوء على حقبة مهمة من حياة العراقيين وتشييدها، بعد أن كانت ستندثر وتنسى مع الزمن، فكان صخي في رواياته (خلف السدة، دروب الفقدان، اللاجئ العراقي)، له اليد العليا في استذكار تلك السنين الماضية من تاريخ العراق وإبراز مكان كان موحش تحول الى مدينة تنبض بالحياة ولها دور فاعل في تاريخ العراق.

ولهذا تناولت المكان في روايات صخي وسلطت الضوء عن القيمة السردية للمكان، فالمكان في الروايات الثلاث خلف السدة، ودروب الفقدان واللاجئ العراقي، مكانات من الواقع العراقي الذي له حيزًا في شغل أفكار الروائي، فعبد الله صخي في غربته حاول أن يتمسك بماضيه الذي عاشه في طفولته، وجعله جسرًا يتمسك فيه ويعينه في محنته القاسية (الغربة)، فكانت الروايات الثلاث هي تذكارًا للمكان الذي عاش فيه وحفر في ذكرياته. ولهذا كان البحث مقسم على مطلبين، الأول المكان الأليف، والمطلب الثاني المكان المعادي، فكان لابد من البحث في هذين المطلبين وايضاح الأهمية لهما في روايات عبد الله صخي.

مفهوم المكان:

يعد المكان عنصرًا مهمًا في العمل الروائي؛ لأثره البارز في النقد الأدبي الحديث خاصة، فهو من الأركان الأساسية التي يبنى عليها العمل السردي، بل جعلته الرواية عاملًا مساعدًا لتحديد رؤية الكاتب، وإجلاء أبعادها وتحديد معالم الخطوط الدرامية للعمل كله، وتحديد صراع الشخوص مع واقعها ومع ذواتها هي الوقت نفسه. ومن ثم فإن المكان شديد الانتماء والوفاء لعالم الرواية الداخلي، على صعيد التركيبة البنائية لها، وكذلك على صعيد كونه مسرح الدلالات والبنية الموضوعية. ومن ذلك لا بد لنا من الوقوف على المفهوم اللغوي والاصطلاحي للمكان الذي هو في اللغة مأخوذ من مادة (كون)، بمعنى: "الموضع، والجمع أمكنة وأماكِنُ،

توهموا الميم أصلًا حتى قالوا تمكّن في المكان" [1]وثانيهما أنّها جاءت من مادة (مكن) فقال: "والمكان: الموضع، والجمع، أمكنة كقذال وأقذلة، وأماكن جمع الجمع، قال ثعلب: يبطل أن يكون مكان فعالًا؛ لأنَّ العرب تقول: "كن مكانك وقم مكانك واقعد مكانك، فقد دلّ هذا على أنّه مصدر من كان أو موضع منه"[2].

أمَّا في الاصطلاح فإنَّ (المكان) في الرواية هو عبارة عن مكان لا يمت للواقعية بصلة، بل هو البناء اللغوي الذي يتحكم به القاص عن طريق الكلمات لجعله مكانًا يلهب احاسيس القارئ ويحرك مخيلته. والمكان في الرواية "ليس منعزلًا عن باقي عناصر السرد وإنّما يدخل في علاقات متعددة مع المكونات الأخرى للسرد كالشخصيات والأحداث، والرؤى السردية" [3]. وهذا يقودنا الى نتيجة؛ هي ارتباط الزمان والمكان في الروايات ارتباطًا وثيقا لا يمكن الفصل فيه فالحدث" لا ينتظم خارج حدود فضاء معين مهما اختلفت نوعية هذا الفضاء، أو تباينت المساحة التي يشغلها داخل النص، فهو يشكل حيز تحقيق الفعل، ومجال تجسده في زمان ومكان معلومين"[4].

وهنا يتضح لنا الاهمية القصوى للمكان في الرواية، لا من حيث القص فقط، بل متعديًا ذلك الى فضاءات أوسع ومديات أكبر، اذ يعد في الروايات هو الهدف الرئيسي الذي تُبنى حوله الاحداث، من خلال قيام الراوي ببناء الشخصية ودلالتها وهويتها.

"من خلال الأماكن نستطيع قراءة سايكولوجية ساكنيها وطريقة حياتهم وكيفية تعاملهم مع الطبيعة" [5].

أنواع المكان:

إن للرواية تعريفات كثيرة للمكان عند العرب والغربيين تقودنا إلى وضع خارطة لمفهوم المكان فيها؛ لذا لابدّ من إيراد بعض هذه التعريفات كي نفهم هذا المصطلح.

قال الناقد العراقي (ياسين نصير)، في معرض تطرقه إلى مفهوم المكان: " للمكان عندي مفهوم واضح، يتلخص بأنَّه الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، ولذا فشأنه شأن أي نتاج اجتماعي يحمل جزءًا من أخلاقية وأفكار ووعي ساكنيه، منذ القدم وحتى الوقت الحاضر، كان المكان هو القرطاس المرئي والقريب الذي سجل الإنسان عليه ثقافته وفكره وفنونه" [6].

ومن الغربيين من وضع تقسيمات للمكان في الروايات، إذ على الرغم من اختلافاتهم إلا أنَّها لها أهمية في فهم المكان للرواية. فقد قسم (مول) و (رومير) المكان على أربعة أوجه وهي:

1- (عندي): وهو المكان الذي امارس فيه سلطتي، ويكون بالنسبة لي مكانًا حميميًا واليفًا.

2- (عند الاخرين): يختلف عن الاول من حيث خضوعي فيه لوطأة سلطة الغير، ومن حيث الاعتراف بهذه السلطة.

3- (الأماكن العامة): وهي ليست ملكا لاحد بل ملك للسلطة العامة النابعة من الجماعة، ففي كل هذه الأماكن هناك شخص يمارس سلطته وينظم فيها السلوك.

4- (المكان اللامتناهي): ومثاله في الأرض(الصحراء) التي لا تخضع لسلطة أحد لخلوها من الناس؛ وبذا تكون بعيدة عن قهر الدولة وسلطانها.

ومن التقسيمات التي لا تخلو من الاهمية في الرواية وتبيان أهمية المكان فيها، تقسيمات شجاع العاني، اذ قسم المكان في الرواية العربية والعراق الى:

1- المكان المسرحي.

2- المكان التاريخي.

3- المكان الأليف.

4- المكان المعادي.[7].

يتبين أنَّ للمكان أهميّة في الرواية العالمية والعربية، إذ يتضح لنا المسار المتبع في معظم الروايات والتي لا تخلو عن ذكر المكان في سردياتها القصصيّة التي تشد القارئ وتلهم مخيلته وتحيي مشاعره الدفينة، عبر صنع المكان في الرواية عن طريق تلك الكلمات المنسجمة مع السياق الروائي للقصة.

المكان في رواية عبد الله صخي:

لرواية المكان الأثر الأكبر في ثلاثية عبد الله صخي (خلف السدة، دروب الفقدان، اللاجئ العراقي)؛ كونها عنصر الحياة في الرواية، فهي الرابط الروحي الذي يربط ما بين القارئ والرواية والراوي، إذ كانت الغربة التي عانى منها صخي هي السبب في إنشائه تلك الروايات؛ التي نتجت عن هجرته وغربته المفروضة عليه، فقد كان يحاول إن يجعل الرواية هي الصِّلة والشّريان الذي يبقيه على قيد الحياة.

لقد كان صخي، يقاوم المنفى الذي هزَّ مضجعه وجعله مشتت التفكير، فيقول صخي في مقابلة صحفية في شباط 2018: لقد أدركت أن المنفى سوف يسلبني حياتي وربما إنسانيتي لذا علي أن اقاومه، لا أريده أن يقوضني، ورحتُ أمضي الساعات وحيدًا أشيِّد وطنًا خياليًا، وطنًا لي بحجم الكف، بحجم القلب، حتى نهض أمامي عالم واقعي أعاد الخيال بناء تواريخه وشخوصه ومصائرها[8].

ومن ذلك المنطلق الذي فرضه الراوي على نفسه كي يعيش من جديد، ويحس بالحياة التي غابت عنه مدة طويلة، بدأ في رسم روايته بمخيلته وذكرياته عن المكان الذي هو العنصر الأساس في بناء شخصيته الروائية؛ لأنَّ الإنسان ابن بيئته.

المطلب الأوَّل: المكان الأليف:

هو المكان الذي تشعر فيه الشخصية بالألفة والطمأنينة، إذ يترك أثرًا عميقًا لا يمحى من وجدان ساكنيه، وعاشوا فيه في طفولتهم وشبابهم، الذي كوَن المادة الخصبة التي تحيي الذكريات[9]؛ لأنَّها تعد بنك الأفكار والقضايا التي يتبناها القاص من مختلف الانعكاسات النفسيّة التي يؤمن بها؛ فالروائي لا يمكن أن نتصوره يجسد شخصيّة لأي فكرة من دون المشاعر الإنسانية المختلفة في قصته أو روايته التي يؤمن بها ويدافع عنها.

ومن هذا المنطلق ننطلق إلى المكان الذي هو بالغ الأهمية في السرد الروائي (البيت) مهد الإنسان الأول، الذي ولد فيه وتربى، ويكاد لا يخلو من ذاكرته على مرّ الأعوام؛ لأنَّ "الكثير من ذكرياتنا محفوظة بفضل البيت. وإذا كان البيت أكثر تعقيدًا، أي له قبو وعلية، وأركان منعزلة، ودهاليز، واروقة، فإنَّ أحلامنا تكون أكثر تحددًا. نعود اليها دوما في أحلام يقظتنا"[10].

بالنظر إلى الروايات الثلاث نجدهن قد ارتبطن في رابط الذكريات لدى الراوي لاسيما الاماكن الأليفة التي عاش فيها القاص، من ولادته إلى انتقاله إلى نهايته لاجئًا؛ فكانت هذه السرديات هي التي شكلت معظم شخصيات الروايات الثلاث، وعلى الرغم من أنَّ البيت هو المكان الذي يحتوي على ذكريات الالفة لدى الشخصيات إلا أنَّ الروايات تحتوي على أماكن أخرى لا تكاد تخلو من الأهمية ففي رواية (خلف السدة). نجد ملامح الفرح ممزوجة بالحزن الذي يكاد لا تخلو منه سردية أهل العراق، فنرى تلك السردية القصصية واضحة في كلام السيد (جارالله) والذي هو أساس الرواية وبداياتها "أبتسم قلبه للسماء ودعاهم للصلاة، فيما انتشر الأطفال بعيدًا في البرية الموحشة. حين انتهوا من صلاتهم نهض معتمدا على يديه، وقال بصوت مجهد شعر به الجميع: هنا بيتي، وهنا قبري"[11].

أما في الأماكن الأليفة التي لها الأثر الواضح في تبيان الحميمة بين أهل المدينة فنرى ذلك التراصف بين البيوتات لهُ دلالات واضحة على الألفة. "من القصب وسعف النخيل بنوا اكواخًا متلاصقة بغير انتظام بدت في تقاربها الحميمي وتلاصقها الأليف كما لو أنَّها تحتمي ببعضها ضد هجوم غزاة غرباء"[12].

فنسبة الارتباط بين شيئين مرتبطين ارتباطًا لا انفصام فيه، الشيء الأول: الدال، وهو الذي إذا علم بوجوده يستدعي انتقال الذهن الى وجود شيء آخر وهو المدلول، وهو الشيء الثاني [13].

وهذا ما نجده واضحًا في: (من القصب بنوا اكواخًا متلاصقة) فالدال الاول هو (الاكواخ)، وهذا الأمر المادي ارتبط بالأمر المعنوي العاطفي ذي دلالات الالفة وهو في (تقاربها الحميمي وتراصها الاليف)، فنرى ارتباطًا وثيقًا بين الدالين إذ لا ينفك أحدهما عن الآخر للانسجام المعنوي والدلالي في الرواية. وهذا الانسجام نجده ظاهرًا عند قوله: "كان بمقدور أي بيت أن يشم رائحة البيت الآخر، وان يسمع شكواه وآلامه، قبلاته وهمسه، صراخه وسكونه، ضحكه وشتائمه، دعاءه وتوسلاته " [14].

ومن الألفة العامة ننتقل إلى الالفة الخاصة، "عند المساء تبدأ عودة الأبناء فيمتلئ البيت صخبًا ونشاطًا ومرحًا وتنطلق أقدام الزوجات برشاقة بين الغرف وباحة الحوش، يرتبن المجلس ويهيئن طعام العشاء على ضوء الفوانيس التي يعلقنها فوق أبواب الغرف أ على مقربة من المجلس" [15].

فهذا المكان الضيق الذي يأخذ مساحة من الفراغ (البيت) نجده قد ارتبط ارتباطًا روحيًا بساكنيه، فنلحظ روعة الزمان وارتباطه بالمكان، في صورة لا تكاد تخلو من البيوتات العراقية، " فالمكان عند الناقد الأدبي هو: "ليس بناء خارجياً مرئيًا ولا حيزًا محدد المساحة، ولا تركيباً من غرف وأسيجة ونوافذ، بل هو كيان من الفعل المغير والمحتوى على تاريخ ما، أو المضخمة أبعاده بتواريخ الضوء والظلمة" [16]. فالقاص يحاول عبر سرديته أن ينقل القارئ إلى تلك الحقبة عبر مخيلته بوساطة الكلمات التي جعلها بوابة عبور زمنية تنقلك من زمنك الى زمن بعيد لم تكن تتصوره في عقلك ويجعلك تعيش تلك التجربة.

فالقاص "يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك مقامًا حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني" [17].

وهذا ما يحاول الراوي إيصاله عبر الفرح والمرح لدى شخصيات الرواية وارتباطها مع المكان، فيجعل ذلك الارتباط ارتبطًا روحيًا، وينقلنا الى صورة متخيلة تثري العقل بمادة معنوية ذات دلالات روحية: "عبق البيت بالعطور والألوان والثياب والحلي عندما قدمت فتيات الجوار، وامتلأ بهمس الأجساد التي كتمت رغباتها بانتظار ليلة الدخلة" [18]. فالبيت هو المكان الأليف وهو المكان الذي يجمع الشخصيات، وهو الذي يجمع القلوب والأجساد، وهو أقرب إلى وطن مصغر.

ومن الارتباطات الروحية ذات الالفة العامة التي لها تأثير خاص عند الشخصيات الروائية هي الارتباط مع (الأضرحة)، لما لها تأثير روحي وعقائدي عليهم.

" تذهب النسوة فرادي أو مجاميع، يحملن أطفالهن على أذرعهن، أو يقدنهم من أيديهم. على جانبي الباب يضعن قسم من الحناء وبالقسم الآخر يخضبن راحات الأطفال. يوقدن شموعاً ويجلسن طويلاً إلى جانب القبر" [19].

وهذا ما نجده واضحًا في شخصيات الرواية، من المتعلقات الروحية بالأئمة والأولياء الصالحين. بأنَّ التسميات للأماكن التي صارت من أماكن ليس لها حياة إلى أخرى انبثقت وربت فيها الانسانية؛ لها ارتباط جدًا وثيق مع حياة الناس. فالاسم هو ما دلَّ على ذات أو مسمى وليس الزمن جزءًا منه، ويفيد الثبوت لا التجدد والحدوث، وهو أقوى في الدلالة من الفعل، وأعم وأغلب أشمل، وغير مقتضي التقييد بالزمن والتجدد [20]. فنجد هذه التسميات لها الألفة أيضًا، غير ما نجده في الأماكن الأليفة مثل البيوت.

"وذات يوم وقف فوق سدة ناظم باشا من جهة ساحة الطيران قائد وطني معروف، أعدم فيما بعد، أبصر البلدة بعينين حالمتين وهتف بألم: يا إلهي كم هي أليفة، إنها تبدو كبيت واحد" [21].

فالملاحظ بأن لفظة أليف قد وردت في كلام القائد الذي أعدم بعد مدة، وهذا دلالته في تشبيه البلدة في البيت، والحنين لها؛ لما فيها من ذكريات في الأذهان.

وقد كان الارتباط في الأماكن الأليفة موجودًا في الرواية (خلف السدة) و(دروب الفقدان)، "عندما نهض من نومه كان الفجر يتسرب من نافذة الغرفة المطلة على شارع فرعي في منطقة الداخل فيلقي أشعة شفافة نقيّة على أمه مكية الحسن وأخته مديحة سلمان النائمتين على الأرض قريباً من فراشه" [22].

فالصورة التشبيهية التي أعطاها الراوي للبيت هنا صورة تخيلية مليئة بالأمل والحياة والسعادة، على نقيض ما فيه من أحداث ستجري في المدينة وهي أول عملية اعدام. وهذه عملية الترادف التي استعملها الراوي في سرديته؛ هي عملية تنبثق من الأثارة التي اراد القاص وضعها على روايته في بداية كلامه. ويتكرر الكلام في ذلك الموضع (البيت)، اذ نجد الالفة والحنية هي السائدة ولا يعكرها شيء مما سبق.

" خرج علي سلمان مسرعًا من البيت فأطلقت أمه خلفه دعوات حميمة وأمنيات رحبة رافعة رأسها إلى أعلى مع شيوع الفجر الممتد كقوس شاهق على صفحة السماء الزرقاء الصافية" [23].

وعلى الرغم من أن البيت هو الحيز الأول في التأثير بساكنيه، الا أننا نجد تأثيرات اخرى لا تخلو من الاهمية في الألفة وفي سرد الرواية. " بعد أن تناولوا الشاي حلت فترة صمت. أحس علي سلمان بدفء المكان ودفء ساكنيه طلبت نادية منه أن يغني. عقدت يديها على صدرها كما

تفعل التلميذة وراحت تنتظر. لحظات وانبثق صوته رفيقاً عذباً كما لو أنه يطلع من قلب نهر أبيض"[24].

فالصورة المعطاة هنا هي صورة تخيليّة، بصرية، جامعة للصوت ومتحركة، ذات دلالات حسيّة، عقليّة ومتحركة وتشخيصيّة[25]. إذ أنَّ جميع الأمكنة من حيث الإدراك هي أماكن اليفة أو معادية، تعتمد بشكل مباشر على المشاعر الشخصيّة المكونة في ذلك المكان، فالمشاعر الشخصيّة هي التي طغت على المكان وجعلته اليفًا؛ هي حبه لنادية. ونجد ذلك الامر يتكرر مع (رجاء) التي كانت تربطه بها علاقة حميمية، فالإحساس ببيت رجاء هو إحساس خاص أليف لأنه يجمعهما سويًا.

" ذات يوم ذهب إلى بيتها وقت الضحى دفع الباب الخارجي بهدوء فانفتح. لم يكن هناك أحد سواها. كانت تجلس فوق قدر نحاسي مقلوب وسط الحجرة تغسل ثياباً في طست. يداها غارقتان بالصابون حتى المرفقين فيما ترتد تنورتها السوداء إلى الخلف فتكشف عن ساقيها ولباسها الداخلي"[26]. فنجد الارتباط الحميمي لعلي سلمان؛ ينبع من حيث كونه لا يستطيع أن يفعل ما يفعله خارج البيت، فالرغبة المادية التي تحرقه لا يجد لها حلًا الا عند (رجاء)، التي كانت تلهب احاسيسه بالقبلات والتلامس الجسدي، فالصورة التي رسمها الراوي هي صورة حسية أراد من خلالها أيصال صورة ذهنية الى القارئ تلامس عقله، فالأمر كله نفسي؛ فالعملية النفسية التي توجد في دماغ المتكلم أو المستمع، أذ ترتبط (المفهومات) (concepts) بـ "الصور السمعية (images acoustiques) التي تؤدي وظيفة التعبير عنها، أي (المدلولات والدوال المطابقة لها). فإذا أراد المتكلم أن يبلغ مفهوما معينا، فإن هذا المفهوم يثير في دماغه الصورة السمعية المطابقة له، لتبدأ بعد ذلك عملية فيزيولوجية ثم بعدها عملية فيزيائية. لكن حين يصل الكلام إلى المستمع تتكرر العملية النفسية في ذهنه بشكل معكوس، حيث تثار الصورة السمعية" لتثير هي بدورها "المفهوم[27].

"وبالخشوع نفسه الذي اعتادت عليه تضرعت إلى الله أن يحفظ لها ابنها وأن يعينه على إكمال دراسته ليحصل على عمل يريح به عائلته من سنوات الفاقة والعوز، وأن يرعى مديحة الطفلة المسكينة السيئة الحظ "[28]. ونجد بأنَّ الارتباط الروحي بالأضرحة هو نفسه ما يزال حاضرًا في رواية (دروب الفقدان)، فالناس قد ارتبطت روحيًا وعقائديًا بالأضرحة والأئمة التي تعد الملجأ والحصن لكل الناس. وهناك من الأماكن الكثيرة الأليفة والتي لها ارتباط وثيق بحياة الناس عامة والشخصيات الروائية خاصة. (فالمقهى) ذلك المكان العام الذي هو مركز للتجمع وسرد

الحكايات، ومكان للتعارف، وتناقل الاخبار، لاسيما ما يجري آنذاك بين البعثيين والشيوعيين، والتي كانت سببًا في اعدام كثير من الشيوعيين. "ذات يوم تعرف في المقهى على موظف حكومي يدعى حامد عودة نقل من الناصرية إلى دائرة في بغداد قبل عامين، ويسكن غرفة مستأجرة في بناية حديثة بشارع المتنبي"[29]. ونجد من تلك الاماكن الأليفة التي مشابهة للمقهى من حيث التسامر وتناقل الاخبار الخاصة والعامة هي ابواب البيوت التي كانت تلتقي فيهن النسوة ويتبادلن الحديث.

"اشتدت كثافة الليل، وبدأت النسوة والفتيات يدخلن إلى بيوتهن بعد أن أمضين ذلك المساء الصيفي الحار أمام الأبواب يتناولن بذور البطيخ الأحمر المملحة المحمّصة ويتبادلن أخبار النسوة الأخريات وأحداث القطاعات المجاورة. وشرع الأولاد، الذين يلعبون في الساحات أو تحت أعمدة الكهرباء، بالعودة إلى منازلهم بعد أن وصلتهم تهديدات ذويهم بحرمانهم من العشاء إذا ظلوا في الطرقات"[30]. فالراوي أراد تحريك مشاعر القارئ بتلك الأماكن وأحياء ذكرياته التي خبت وانطفأت مع الزمن فجعل الصور الكلامية تدغدغ الشعور وتلهب الاحساس لذلك الزمن. وفي رواية (اللاجئ العراقي)، تقل الأماكن الأليفة مقارنة بسابقاتها من الروايات.

من ذلك نلحظ أنَّ الأماكن التي تألفها الشخصية وترتاح لها تنحسر بشكل عام، ففي الروايتين الأولى والثانية، نلاحظ اماكن محببة واليفة بكثرة موجودة؛ لكن في (اللاجئ العراقي) تتضح كثرة الأماكن التي ترتبط بما هو معادٍ من الامكنة، ورأينا سابقًا أنَّ أهم الأماكن الأليفة كان البيت" بما يمثله من وطن صغير تسكنه الشخصيات؛ لكن في هذه الرواية الشخصية الرئيسة علي سلمان ليس لديه أي دار خاص، إذ يهاجر مغتربًا عن وطنه الأم إلى سوريا، ويظل ينتقل بين مكان وآخر كمستأجر، وهذا ما جعل الشخصية لا تنتمي وترتبط بهذه الأماكن ارتباطًا كبيرًا، بل بقي القلق يساورها؛ لأنَّها مهددة بأية لحظة لترحل عنها. فنرى أن الحيز الذي ألفته الشخصية الرئيسة أكثر من أي مكان آخر كان الغرفة. بيت خاص بها أشبه بالمستحيل، فاضطرت الظروف علي سلمان للسكن في عدد من الغرف في العمارات، وكان من أحبها لديه غرفة صديقه مهند التي أنقذته من أزمته التي يعيشها والتي كانت الملجأ من غربته.

" أشار مهند إلى غرفته، وإلى دورة المياه في الزاوية البعيدة، واعتذر عن عدم وجود مطبخ ... تأمل علي المكان فراه لا يصلح للسكن الدائم لكنه أحس بارتياح لأنه سيكون وحده معظم الوقت. مع أن رعد وسعاد عاملاه بلطف كبير ووفرا له ما بوسعهما كي لا يشعر أنه ضيف مكلف"[31]. فعلى الرغم من أنّها غرفة بحيز محدود، وعدم ملاءمتها للسكن إلا أنَّ علي سلمان شعر بحميمية

تجاهها، فهي من ناحية ستوفر له حرية افتقدها عندما كان يسكن في بيت رعد وسعاد، حيث كان مقيد بكل ما يفعله، ومن ناحية أخرى ستزيل عنه هماً أرقه، وهو طول مكوثه في بيتهما، مع كونه عاطلًا عن العمل الأمر الذي جعله خجولاً منهما بشكل كبير ومن الأماكن التي كانت قريبة جداً لعلي سلمان، هو منزل حبيبته نادية"، إذ كان ينظر إليه بشغف وحب كبيرين.

نجد أنَّ القاص يحاول أن يوصف الأماكن بدقّة؛ كي يعطي الصورة الحقيقية لتلك الأماكن، فما نجده من ذكر الأماكن والمناطق بأسمائها المطابقة للأسماء على خارطة الواقع، قاصدًا من ذلك جملة من الغايات الفنية والفكرية، ينظمها غالبًا طلب المزيد من الإيحاء بواقعية المكان المسمى، وأحيانًا قد يختزل اسم المكان جملة من المفاهيم والأفكار[32].

قال صخي: "وقف أمام الدار المنتصبة بين الأشجار. إذن هذا هو المنزل الذي تقيم فيه نادية، تطلع في جدرانه، في أبوابه، في نوافذه . كيف سيقابل نادية ؟ بأية لهفة ؟ بأي سؤال ؟ بأي شوق؟"[33].

يتبين لنا أنَّ الاستفهام الذي جعله الراوي مثل الحبكة التي تلهب خيال القارئ، وهذا الأسلوب كان أقل الأساليب ورودًا عند الراوي، لكنه الأكثر تنوعًا من حيث في طرح التساؤل، أو ليترك لخيال المتلقي افتراض الأجوبة بوصفها دعوة للمشاركة والتفكير في ختام الصورة الذهنيّة للشخصيّة. فالقاص قد أستخدم الأثارة في ذلك الموضع الذي طوعه لسرد شخصيات الرواية، ونقل مشاعرهم، فهو عامل مهم في الرواية، فالعمل الأساس الذي جعل المكان اليفًا ومحببًا لـ(علي سلمان)، هو حبه لنادية؛ لأنها سكن للحبيبة التي أسرت قلبه ووجدانه.

ويأتي الراوي مرّةً أخرى لكي يعطي صورة تلامس خيال القارئ ويحرك مشاعره، فيوصف مكان أليف تكرر في الروايات الثلاث وهو (المقهى)، إذ يقول: "جلس في مقهى مفتوح لم يشغل مقاعده الكثيرة سوى عدد متناثر من الزبائن في ذلك الوقت المبكر من الصباح. لم يأته نادل ليطلب منه مشروباً فغفا وحقيبته في حجره. أفاق على أصوات المارة، وازدحام حركة السير، ومنبهات السيارات. شم رائحة القهوة وتبغ النارجيلات بأيدي رواد اختاروا الجلوس على المقاعد المطلة على الشارع المغمور بالشمس التي تمنح المدينة لوناً ذهبياً ساطعاً يضيء قبة السماء الزرقاء"[34]. فقد تحول المقهى عند علي سلمان إلى المكان الأليف، على وفق العادات التي تمارسها فيه، من أكل ونوم، ولقاء الاصدقاء وتسامر الحديث، بالخصوص في أخبار السفر واللجوء، وأخبار (خولة)، زوجته تصله عن طريق هاتف المقهى. وفي هجرته التي كانت اليمة ومرة بالنسبة له وجد ما يعزيه في تلك الغربة وهي (دمشق) فكانت بالنسبة له مكان أليف يختلف عن الواقع المر الذي يعيشه.

" في الطريق قابل فتيات جميلات ما إن لمحنه حتى حولن أبصارهن إلى بعضهن أو إلى الناحية الأخرى فعاوده الشعور المؤلم بأنه شخص مهمل، غريب، لا يعرف أحد، ولا أثر له فالمدينة ليست مدينته والمجتمع ليس مجتمعه. هل أخطأ عندما اختار المجيء إلى هنا؟ فكر بأنه كان عليه أن يظل في دمشق فنساؤها أرق من الياسمين المنعقد فوق خدودهن، ونسيمها المنعش لا يزال يغمر جبينه بالندى. كما أنه، طوال إقامته هناك، لم يشعر بأنه غريب، بل هو بين أصدقائه ومعارفه لكنه كان مضطرًا للمغادرة، إذ لم يعد يملك وثائق رسمية تثبت شخصيته سوى الهوية"[35]. إذ إنَّ هذه الهجرة من مدينة إلى أخرى جعلته يحن إلى الأولى، التي زرعت حبًا وشوقًا لا يكاد يفارقه، فهو عاش الغربة الحقيقية في مدينة لندن، فالهجرة تولد لديه شعور بالاغتراب فهو في: " حالة نفسية اجتماعية تسيطر على الفرد وتجعله غريبًا وبعيدًا عن واقعه الاجتماعي"[36]. فكان يحس بأنه غريبًا؛ بسبب اللغة، وفراقه لخولة التي طلقها، ولدَ لديه شعورًا نفسيًا بالحنين الى دمشق التي هاجر منها، كانت بالنسبة له مكان اليف ذو محبة وحنية مشابهة لبغداد.

وعلى الرغم من الاختلاف في المشاعر التي كانت تنتاب علي سلمان في بعض الأماكن إلا أننا نجده يحن إلى بعضها، فالمطارات هي تكاد تكون لديه أليفة؛ لأنَّها نفطة عبور بالنسبة له وتغيير حال: " في ذلك الفجر كان الضوء يغمر مطار بخارست. وهو يهبط من الطائرة أحس (علي سلمان) أن الضوء يتسلل إلى قلبه ويسري في عروقه فابتهج له، وابتهج لوجوده في ذلك المكان الذي يقربه من هدفه"[37].

الذي يظهر أنَّ السفر هو نقطة الانطلاق لسرد ما جرى للشخصيّة فـ(الطريق) الذي تبدأ عنده حياة تختلف عن الأخرى، المليئة بالخوف من المجهول للمستقبل؛ بسبب الرعب الذي يعيشه من الفقر وربما ايداعه السجون، وعلى نقيض ذلك ستكون هناك الطمأنينة، والراحة والاقامة والجنسية والسكن الملائم والعيش الكريم، الذي سيجده وها هو هنا يجد في نهاية رحلته المتعبة مكافأة التعب والغربة، سيلتقي بمن يحب بمن فارقها رغمًا عنه، سيجد الملاذ الأمن والأليف الذي فقده لمدة طويلة (خولة)، حبه الذي لم يهدأ ولم ينضب طيلة مدة تباعدهم: "فجأة انبثقت خولة من بين الحشد ووقفت في طريقه إنه وجهها، الوجه الذي يعرفه والذي كثيرا ما تأمله ثم ضيعه أو نسيه ها هو يعثر عليه من جديد، ها هو يجد بيته وأهله ووطنه"[38].

المطلب الثاني: المكان المعادي:

هو المكان الذي تشعر الشخصيات فيه بالكراهية والعداء والضعف وعدم الأمان[39]. وهو المكان الخانق الذي يغير في الذات الإنسانية وينشأ الخوف والقلق لدرجة الاختناق، وتكون

العلاقة بينه وبين الشخص علاقة عدائية سلبية، إذ تتخذ فعاليات هذه الأمكنة طابعًا عدائيا ليصعد عند الإنسان فاعليّة الإحساس بالخوف من المجهول [40]. وهو المكان الذي لا تألفه الشخصية، وتشعر بالضيق فيه، وتكون مشاعرها عدائية نحوه؛ لأنها غالباً ما توجد عليه بسبب ظرف إجباري، ومن أبرز هذه الأماكن السجون، والمعتقلات أو تلك التي توحي بأنّها مكامن للموت [41]. ويوحي المكان المعادي بالفقر والألم الموجع، ويشعر المرء فيه بالاغتراب والعزلة عن الناس لكونه مكانًا يكون فيه الإنسان مرغمًا كالسجون والمعتقلات، والمنافي، أو أن خطر الموت يكمن فيه، وهو المكان الذي يتخذ من تجسيد السجن للطبيعة الخالية من البشر ومكان الغربة وهو القادر على إثارة ذكرى المكان عند القاري [42]. مما يشكل خطراً على حياة الإنسان كساحات القتال، بل يشعر نحوه بالعداء والكراهية، فهو الذي يولد علاقة غير حميمة بمعنى آخر سلبية. والعلاقة بين الإنسان والمكان [43].

هذا ما نلاحظه في الروايات الثلاث من كثرة الأماكن المعادية على اختلاف التحولات المكانية والزمانية؛ فـ(البيت)، الذي يعد مكانًا أليفًا، نجده أحيانًا مكانًا معاديًا؛ لاختلاف المشاعر لدى الشخصيات تجاه المكان، وهذا نابع من الضغوط النفسية والقاهرة التي وجهت نحو ذلك المكان وجعلته معاديًا. " ففي وقت القيلولة وصل ثلاثة رجال ملثمين في سيارة حمل صغيرة من نوع " بك آب تسلقوا سياج البيت الطيني ونزلوا إلى باحة الحوش. تسلل أحدهم إلى الكوخ وسحب الفتاة من ضفائرها. صرخت بفزع فأفاق سوادي حميد وهم باستلال بلطته التي غالباً ما يخفيها تحت الوسادة فعاجله أحدهم بضربة خنجر، وأمام الزوجة تناولوا جسده بالسكاكين "[44]. فهذا بيت الزوجية الذي يجمع العائلة، نراه قد تحول من مكان أليف الى معادٍ؛ بسبب أخوة زوجة سوادي الذين جاءوا من أجل غسل عارهم، فأخذوا أختهم (زوجة سوادي)، وضربوا سوادي بالسكاكين، الذي جن بعد هذه الحادثة، وكانت هذه الحادثة ما جعلت المكان معادٍ بالنسبة لسوادي. فالعلاقة بين الإنسان والمكان علاقة جدلية، فالمكان حقيقة معينة، تحمل في طياتها دلالات خاصة، فعندما يكون المكان أمنا وحميما يشعر الإنسان نحوه بالألفة، وعندما يكون المكان خلاف ذلك لا يشعر الإنسان نحوه بالألفة، إذ يتحول شعوره إلى الخوف لأحتواءه على العدائية والكراهية، وهذه الأماكن إما أن يكون الإنسان مرغماً عليها كالسجون والمعتقلات والمنافي، وأما خطر الخوف فيكمن فيها لسبب أو لآخر كالصحراء والأماكن التي توحي بأنها مكان للموت والطبيعة الخالية من البشر وأمكنة الغربة [45]. فكل الأمكنة لا يمكن أن نطلق عليها مكان أليفًا أو معاديًا؛ وذلك لارتباطها بمشاعر الشخصيات، وهي التي تجعل من الحيز المسكون علاقتها فيه.

قال الصخي: "وجاء يوم فارق فيه الحياة. لحظتها لم يكن إلى جانبه أحد. كانت هناك الأفعى فقط تنتقل في أرجاء البيت الموحش، ذلك أن مكية الحسن وبنتيها قررتا قضاء فترة ما بعد الظهر في مرقد السيد جار الله" [46].

يستشف من هذا النص الروائي صورة توضح كيف تحول المكان الأليف الى معادٍ، فسلمان اليونس الذي عاش في هذا البيت تحول في لحظة شعور لديه الى مكان معادٍ لعدم وجود أحد معه في لحظات حياته الأخيرة.

وفي سرديةً اخرى نشاهد تحول المكان من أرض للأمل الى أرض ملعونة غير أليفة،" وحين رأت الرجال يحملون الطفل في إزار ويتجهون به إلى "البشان" مرغت جسدها بالوحل بينما راح زوجها يتساءل مرتجفا مذهولا: "ما الذي فعلناه؟ أكان يجب الا تأتي إلى هنا؟ قبل لنا إنها أرض مباركة"[47]. فالأرض التي وعدوا بها كانت لهم الحلم الذي يلبي رغباتهم من معيشة ميسرة وطمأنينة للمستقبل الذي كانوا يحلمون به، إلا أنها تحولت الى مكان معادي يبعث على البؤس والموت. ويتجول بنا الراوي من مكان إلى اخر في صور عدة حيث الغربة والحزن اللتان هما مشتركان لا يتفارقان. فالغربة هي البعد عن الوطن أو البلد، أو الاعتزال أو النفي والتنحي عن الأهل والاغتراب عنهم، أي: النزوح [48]. إذ تحول كل شيء الى غريب ومكان معادٍ في نظر الشخصية؛ لما تمر به من حال نفسية جعلته بعيدًا عن الأهل والأحبة، فحتى الطرقات تحولت الى مكان غير أليف ومعادٍ. إذ قال: "منهكًا دار في طرقات خالية. اجتاز أزقة وممرات لم يرها من قبل. سار سيراً خدراً في متاهات دروب وأزقة وبيوت تكتوي بهواء ساخن حتى وجد نفسه في مواجهة مساحة مفتوحة واسعة اقتلعت أحراشها ونباتاتها البرية"[49]. فالمشاعر التي عانى منها (علي سلمان) بسبب سيره من أجل العمل في تلك الطرقات جعل في مكنونات مشاعره هذه البيئة غير محببة وغير أمنة، وجعلته يفكر لا شعوريًا في تلك الحياة التي يعاني منها. ومن تلك الأماكن وعلى كثرتها تولدت لديه هذه الكراهية فأماكن العمل التي جعلت جسده يذبل من التعب والإرهاق والمرض، معامل الطابوق التي كان العمل فيها مضني وأجرهُ قليل

" كان العمل في معامل الطابوق شاقاً ومرهقاً إلى الحد الذي يفنى معه الجسد سنة بعد سنة، ويتضاءل شيئاً فشيئاً حتى يتحول إلى تراب كان دائماً يقول بحزن: نحن تراب المعامل" [50].

وفي الانتقال الى مكان معادٍ جدًا في سرد الشخصيات ننتقل الى المعتقل الذي ولدَ نفورًا وعداءً لهذا المكان لفرط ما عانوه من ظلم واضطهاد فيه. " حولوا الملاعب ودور السينما إلى والنوادي إلى مراكز اعتقال بعد أن امتلأت بهم السجون المعروفة. وفي غرف التعذيب وأقبيته السرية قلعوا

أظافر المعتقلين وأرسلوا بعضهم إلى المشانق فيما عقدوا محاكم صورية أصدرت أحكاماً بالسجن المؤبد على آلاف آخرين. استخدموا المثقب الكهربائي، المنشار الآلي، القضبان الحديد، الأسلاك الكهربائية، سوائل لحرق الأجساد وأعقاب السكائر. ففي معتقل قصر النهاية، وحسب شهادة الجلادين والسجناء، جرى تعذيب المطلوبين حتى امتلأت سراديبه بالدماء والجثث المتفسخة، كما جرى اغتصاب العديد من النساء، وبقرت بطون الحوامل. اما معتقل خلف السدة الذي تتسع القاعة فيه إلى ستين شخصاً فكانوا يضعون فيها أكثر من ألف. أجساد بشرية تتراكم فوق بعضها " [51]. فالانفصال والنفور الذي ولّد من العجز بسبب الاوضاع التي عاشوها على يد جلاوزة النظام كان كفيلًا بزرع روح المعادة للمعتقلات لما يجري فيها من ظلم، فجعلت الإنسان يعيش الغربة وهو في بلده ويتمرد على تلك الاماكن المعادية. فالتمرد أدى إلى الشعور بالاغتراب، نتيجة لعدم شعور الفرد بالانتماء للمجتمع، فعند ذاك تنشأ لدى من يشعر بالاغتراب حالة من الرفض والعصيان لكل ما هو مسيطر، إذن "التمرد ضد ما هو قائم، وهو علامة على الاغتراب" [52]. فالملاحظ للنص السردي وعلى الرغم من طوله؛ الا إنه ينقل لنا صورة حقبة مهمة جدًا في تاريخ العراق فكان هذا هو الوضع السائد آنذاك في البلد. وننتقل إلى مكان اخر حفر في ذاكرة الناس على أنه مكان أليف ويدافع عن المظلومين، وينقل أخبارهم وهمومهم، الى مبنى دار الاذاعة والتلفزيون، فبعد اعتقال رئيس الوزراء نقل في دبابة الى المبنى وأعدم دون أدنى محاكمة، وكان هذا كفيلًا بجعل ذلك المبني مكانًا معادًا لا يكاد يفارق ذاكرة الناس " أخذه الانقلابيون إلى دار الإذاعة بدبابة بدا وسيمًا بعد أن حلق ذقنه، وفي داخله كان مستعدا للموت. قيل إنه حين دخل مبنى الإذاعة ساد الهدوء المكان. كان حاسر الرأس وقد خلعت عنه رتبته وأوسمته " [53].

وفي خضم تلك الصراعات المشحونة بالعداء لعديد من الأماكن التي وردت في رواية (خلف السدة)، ننتقل الى رواية دروب الفقدان، والتي كانت حبلى بالوقائع والسرديات للشخصيات ومعاناتهم من الاماكن المعادية، غير المنفكة عن ذاكرتهم ألا وهي (المعتقلات).

" عندما ذهبت لاستلام جثة ابنها أطلقت موجة من الزغاريد اهتزت لها جدران سجن أبو غريب"[54].

من نافلة القول يظهر أنّ تلك الأماكن لا تخلو من مكامن الفقدان والموت الذي القى بظلاله المثقلة بالجزع والحرمان من أبسط مقومات الحياة. فالتكرار السردي ينقلنا من حالة الى أخرى، "عندئذ أدرك علوان عزيز أنه في مديرية الأمن العامة فوق الأرض التي كانت يوماً ما بارك

السعدون، مأوى العوائل والطلاب وعابري السبيل كم التقى بأولاد من مناطق مختلفة جاءوا إلى هنا يلعبون ويصطادون العصافير! كم جلس تحت أشجاره العالية الكثيفة الظل في قيظ الصيف اللاهب!، لكن المنتزه لم يعد موجودًا فالسلطات هدمته وشيدت فوقه مكاتب تحقيق وسجن وغرف تعذيب"[55]. فإنَّ الصورة المرسومة التي كانت في ذاكرة الشخصية (علوان عزيز) هي صورة مكان أليف، لبارك السعدون، إلا أنَّه ما لبث الا وتحول الى مكان بغيض مكروه ومعادٍ مثل الوحش الكاسر الذي يأكل بضحاياه، فكانت الشخصيات بمجرد السماع بالمعتقل أو ما يرتبط بها من أماكن مثل مديرية الأمن ترتبط لديهم مشاعر الخوف والموت من تلك الأماكن لما يمارس فيها من تعذيب وقتل للنفوس البريئة. وحين نركز على الأماكن التي تكررت كثيرًا كأماكن معادية هي الطرقات، وذلك لما يحدث فيها في جنح الظلام ولا تفارق من تعرض الى تجربة مريرة فيها " كان الطريق خاليًا مظلمًا، تشتد ظلمته عند الأجزاء المتاخمة للسوق. قرب إحدى السقائف سمع صوتًا مخنوقًا يتضرع : (لا ، الله يخليكم ، لا ، لا). كان جلال يشد على بنطاله بيديه بكل قوته ويقول: (لا، الله يخليكم ، لا ، لا)"[56]. فالمكان هو صاحب الشخصية المؤثرة في الشخصية، على الرغم من كون المكان غير عاقل، ولا تنبعث الروح فيه؛ لكنه جعل الشعور لدى الشخصيات والنظر للمكان هل هو معادٍ أو اليف وهذا ما حصل مع الشخصيات، علي سلمان، وجلال، الذين زرع في داخلهما كره لذلك المكان وجعلاه في شعورهما مكان معادٍ. وننتقل الى سردية أخرى مقهى عجيل، فهو كما واضح مكان للألفة والمحبة والتسامر، إلا انَّه تحول الى مكان غير مرغوب، وغير أليف، وهذا يرتبط بالحالة النفسية للشخصيات. " ساد المقهى صمت يبعث على التوجس، وتعلّق الذعر في عيون الشباب فيما ظل على سلمان جامداً في مقعده من هول الصدمة"[57]. فالمكان الأليف تنسجم الشخصية معه، وتحبه وتعيش في فضاءاته، وقد يكون على النقيض من ذلك وهذا التناقض ولد الصراع الذي يحدد ابعاد الشخصية وعلاقاتها؛ لأنَّ ثمَّة أمكنة لا يشعر الانسان بألفة ما نحوها، بل يشعر بالعداء والكراهية نحوها، وهي أماكن قد يقيم فيها تحت ظرف اجباري كالمنافي والسجون والأماكن التي توحي بأنَّها مكان للموت، وأماكن الغربة. والملاحظ في الرواية كثرة تحول الأماكن من أليفة الى معادية. "خيم على المدينة جو من الوجوم، توقفت حركة السير في شوارعها فغدت خالية إلا من سيارات الشرطة ورجال الأمن...كانت السماء رمادية ثقيلة، بدت كما لو أنها أقرب إلى الأرض. ومن حين لآخر تهب ريح قوية فتطير الأوراق والخرق وأكياس النايلون وتعلق بأسلاك الكهرباء أو حبال الغسيل أو المزاريب. ولعدة أيام تجمدت الحياة في قطاعات المدينة"[58]. فالحدث المهم الذي ولد صدمة في شخصيات

الرواية هو مقتل شخصية محببة عند الناس، ولها ارتباط قوي بشعورهم، فإعدام (بشار رشيد) كان لهم أشبه بالموت الملاحق لهم كل مكان، وحول المدينة الى جماد، لا يتحرك فيها أحد سوى الأمن.

وعند الانتقال إلى مكان آخر نجد هناك صور أخرى لذلك الظلم الذي وقع على الناس وحول مشاعرهم الى معادية لتلك الأماكن. " كان وجهه ذاهلاً مستغرقاً في تأمل المدينة التي رأها صامتة مقفرة كأنها قريبة من حتفه. شعر أنه غريب أعزل، مرّ أمامه طيف علي سلمان وتساءل: أين هو الآن ؟ في أي معتقل؟ في أي: زنزانة؟"[59].

نجد الواقعية الصورية هي ما يثبته الروائي في سرد الأحداث التي جرت في ذلك الزمن وينقل لنا تجربة زمانية ومكانية حقيقية فأعظم التجارب هي التجارب الواقعية التي تلهب أفكار المتلقي وتؤثر فيه، هذا السائد في الروايات الثلاث، على عكس بعض الروايات التي تكون الأماكن من نسج الخيال وغير واقعية. فالمكان في الرواية عالم خيالي من صنع الروائي نفسه يقع في مواقع تختلف عن تلك المواقع التي ينتمي اليها المتلقي وقد يشبه هذا العالم الخيالي العالم الواقعي او يخالفه وذلك حسب رؤية القاص له والحقيقة أن الأماكن في بعض الروايات بشكل عام لا تبنى على اساس التخيل اذ لا بد لها من أن تكتسب ملامحها واهميتها من الاقتراب من العالم الحقيقي وذلك للإيهام بالواقعية ويمكن تعريف المكان الواقعي المفترض بأنه : الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الانسان ومجتمعه؛ لأنَّ المكان له أبعاده الاجتماعية التي تؤثر في بناء الرواية فهو الذي يكسب الصراع الدرامي حنته، ويعجل بانسياب الزمن ويزيده وضوحا[60].

في رواية (اللاجئ العراقي) يتضح للقارئ في ظل سرديات الرواية كثرة الأماكن غير الأليفة (معادية)؛ لأنَّ الرواية وبناءها القصصي استند إلى شخصية (علي سلمان)، الذي بدأ رحلة الغربة والتشرد بعيدًا عن وطنه وأهله، فكانت الرحلة هي هروب من الواقع الذي عاشه، من سجون وتعذيب وتنكيل بكل ما هو أنساني، وجعلته غريبًا بين أهله وناسه، بسبب الواقع المفروض من السلطة الجائرة، فكانت السلطة لا تميز بين رجل وامرأة وشيخ وطفل. " خمن علي أنها هاربة من الملاحقة الأمنية في العراق، فثمة الآلاف من المعارضين للنظام الذين اجتازوا الحدود قبلها... خوفًا من الاعتقال والموت تحت التعذيب أو في أحواض الأسيد خاصة أعضاء الحزب الشيوعي بعد تدهور علاقته السياسية مع حزب البعث"[61]. فالملاحقات التي تمارسها السلطة الجائرة لأبناء الشعب جعلت العراق غير أمن، وهذا ما جعل الشخصيات تهاجر وتترك البلد، وهذا ما

جعل السرد في الرواية ملتحم المكونات، من أفكار وعواطف وصور، لا يمكن فك شباكه بين الشخصيات والأماكن. وهذا ما نلاحظه في العديد من مكونات القصة.

قال صخي: "أمَّا هو فلاجئ قادم من بلاد تكره أبناءها وتذيقهم الذل والهوان في كل ساعة، أو تلقي بهم في أتون حرب لا طائل من ورائها" [62]. فالوطن هذا المكان الأليف الذي تطمئن له الروح بعيدًا كان أم قريبًا، تحول الى مكان معادٍ؛ بسبب ما يمارس فه من ظلم، فعلي سلمان خائف من المجهول، الذي ينتظره في كل لحظة، بسبب رؤية النظام الحاكم له على أنه شيوعيًا، على الرغم من أنه مستقل وغير منضوي تحت الحزب الشيوعي. وننتقل الى مجموعة من الأماكن غير الأليفة بالنسبة للشخصيات التي ترتبط بارتباط شخصي واحساس واحد هي المطارات والمعابر الحدودية، وخوف الشخصيات الروائية من امساكهم وارجاعهم لبلدانهم التي هربوا من ظلمها. "هبطت الطائرة إلى مطار هيثرو بلندن. كان علي سلمان خائفًا مرتبكًا. ساقاه ترتعشان. مشى مع المسافرين... كأنَّه يحتمي بهم. أحس بشيء يعتصر قلبه حاول أن يشجع نفسه لكن القلق من احتمال إعادته من حيث أتى ينهشه" [63]. هذا ما نلحظ في سردية مختلفة ولكن متشابهة بالشعور، إذ قال صخي: "تسلل إليها ذلك الشعور بالخوف الذي عانت منه في كل المعابر الحدودية التي حاولت اجتيازها إلى سوريا أو الأردن من قبل نزلت من السيارة. لامست قدماها الأرض فأحست بارتجاف في ركبتيها"[64]. فنرى وحدة الشعور أو الإحساس الذي يهيمن على الشخصيات ولد صورة سلبية ونمطية في شعورهم الباطن وهي الخوف من المجهول للمستقبل.

وقال: "لكنه يشعر باطمئنان لاجتيازه معبر الرطبة الحدودي بسلام وبدون استجواب وتأخير، من هناك، من المعبر، تلك النقطة التي يواجه المرء احتمال المنع من السفر في أي وقت بدأت هجرته"[65].

فتلك الجزئية الصغيرة وهي ختم العبور نراها قد حولت ذلك المكان الى معادٍ وغير محبب للشخصيات، خوفا من أن يمسكوهم بسبب أوراقهم المزورة، فعلي سلمان وخولة، اشتركا بذلك الشعور، شعور الخوف والقلق من تلك الأماكن.

من ذلك يظهر نجاح خولة في الوصول إلى وجهتها وانتهاء رحلة الخوف والقلق؛ الا أنَّها بدأت تعيش غربة ومحنة المكان من جديد، فهذه المدينة الجديدة (لندن)، التي كانت تعد مدينة أليفة تحولت الى فضاء موحش ومعاد بسبب شوقها للحبيب (علي سلمان)، "وصلته رسالة من خولة تقول فيها إنها مشتاقة له شوقا لا حدود له لدرجة أنها ترى المدينة موحشة بدونه، ورسمت له صورة مشرقة عن الحدائق والمتنزهات والشوارع وتفاصيل عن السكن والمساعدات الاجتماعية

للعاطلين"[66]. فالحبيبان علي وخولة، واشتياقهما الى بعض والخوف من أن يفارقهم المجهول من المستقبل جعلا الفضاء الواسع لندن، من مكان جميل بحدائقها وشوارعها الانيقة الى مكان معاد، لاسيما لخولة التي تحول المكان في نظرها إلى موحش لا حياة فيه.

وعند الانتقال الى مكان أخر وأليف في نظر الشخصيات، تحول هو الآخر الى مكان معاد؛ بسبب برود مشاعر خولة نحو (علي سلمان) وتذمرها من صغر الشقة. " بدأ ذلك بتذمرها من ضيق الشقة المؤقتة المكونة من غرفة نوم وصالة صغيرة ومطبخ لا يسع لاثنين في بناية من أربعة طوابق" [67]. نجد أنَّ ذلك التذمر كفيل بالقضاء على روح الألفة التي عاشها علي سلمان في مسكنه الجديد وتحول المكان الى معادٍ، فكان علي سلمان بنظره الى الشقة الصغيرة يرى انها بوابة نحو أمل جديد مشرب بصباحات جديدة يملئها الامل لغد مشرق.

"كانت تصف الشقة بأنها قفص فيما هو يعدها مكانا في النعيم إذا ما قيس بـ«مأوى التنين»، أو النوم على مصطبة في الطريق. وهكذا أخذ سأم خولة وتحويل كل شيء، مهما كان تافها، إلى مأساة يضايقه ويثير أعصابه"[68].

وفي صورة أخرى مليئة بالحزن الذي خيم على المكان وحوله الى مكان غير محبب ومعادٍ في نظر شخصية اختتمت الرواية بها هي (ساندرا)، التي كانت مقربة من (علي سلمان)، لكن وفاته المفاجئة في سكنه غير نظرتها وإلى الابد الى ذلك المكان، فالحزن والغربة قد اجتمعا في ذلك الفضاء المتحرك، والذي كان يملئه علي سلمان، فتحول إلى سكون وجماد؛ بسبب موته. "وعلى درجات السلم وداخل الشقة. لم يبك أحد منهم، وحدها ساندرا كانت تبكي وهي تستند إلى سياج الشرفة" [69].

الخاتمة:

نستخلص من الروايات الثلاث، كثرة الأماكن الأليفة والمعادية، بدءًا من رواية (خلف السدة)، التي كان البيت فيها من الأماكن الأكثر حميمية، الى الأضرحة التي نلتمس فيها تأثيرها الواضح والمحبب في الشخصيات الروائية، والتأثير العام للفضاء الواسع من الطرق الضيقة الى المدينة الواسعة (مدينة بغداد) التي كان لها تأثير أليف ومحبب عند الشخصيات. وأما في الرواية الثانية (دروب الفقدان)، فقد كان العنصر المشترك بينها وبين الرواية الأولى (البيت)، فهو الأقرب للشخصيات الروائية والمحبب الى قلوبهم. فضلًا عن ذلك المقاهي التي هي مكان للتسامر وتبادل الاخبار مع الأصدقاء، فكانت مكان محبب واليف للشخصيات، وفي الرواية الثالثة (اللاجئ

العراقي)، غابت البيوت وحلت مكانها (الغرف)، التي عملت مكان البيوتات الأليفة؛ لأنها عوضت عن الحرمان الذي واجهت الشخصيات بعدم وجود مكان يؤويها.

أمَّا الأماكن المعادية فكان للروايات الثلاث وضع مشابه ومشترك للمكان، إذ نرى أحيانًا يتحول المكان من أليف الى معادٍ؛ بسبب الشعور الداخلي لدى الشخصيات السردية، وكذلك استجد مكانًا جديد وهو المعتقل والذي كان مكان غير مرغوب جدًا؛ لما له من ذكريات سيئة لدى الشخصيات من تعذيب وتنكيل وقتل للأبرياء، وكذلك تحول المدينة الى مكان معادٍ بسبب ما جرى عليها من تهميش، ونرى بعد الانتقال وهجرة الشخصيات الى أماكن أخرى بعيدة عن وطنها جعلها تعيش غربة والم مما حول المكان في نظرها الى معادٍ.

الهوامش:

([1]) لسان العرب، مادة (كون): 3960/5.

([2]) المصدر نفسه (مكن):4250/6-4251.

([3]) بنية الشكل الروائي: 26.

([4]) سرد الامثال في البنية السردية لكتب الامثال العربية: 15.

([5]) الرواية والمكان: 117.

([6]) المصدر نفسه: 16.

([7]) ينظر البناء الفني في الرواية العربية في العراق: 28

([8]) كتابات موقع على الانترنيت سبتمبر 11، 2020. Kitabat.com.

([9]) ينظر البناء الفني في الرواية العربية في العراق: 28.

([10]) جماليات المكان: غاستون باشلار: 9.

([11]) خلف السدة: 10

([12]) المصدر نفسه:11.

([13]) ينظر: منطق العرب من وجهة نظر المنطق الحديث:39.

([14]) خلف السدة: 11.

([15]) المصدر نفسه: 77.

([16]) مجلة الجامعة الإسلامية: 273.

([17]) البيان والتبيين:139/1.

([18]) خلف السدة: 34.

([19]) المصدر نفسه: 15.

([20]) ينظر معاني الأبنية في العربية:9.

([21]) خلف السدة: 13.

([22]) دروب الفقدان: 7.

([23]) دروب الفقدان: 8.

([24]) المصدر نفسه :247.

([25]) ينظر اسرار البلاغة:5-8.

([26]) دروب الفقدان: 57.

([27]) F. De. Saussure, C.L.G.p28.

([28]) دروب الفقدان:94.

([29]) المصدر نفسه: 204-203.

([30]) المصدر نفسه: 66.

([31]) اللاجئ العراقي: 107.

([32]) ينظر: قضايا المكان الروائي في الادب المعاصر: 50- 51.

([33]) اللاجئ العراقي:20.

(35) المصدر نفسه: 101.

(36) الغربة والاغتراب في الشعر العراقي المعاصر:114.

(37) اللاجئ العراقي: 134.

(38) المصدر نفسه: 137.

(39) ينظر: جماليات المكان:16.

(40) ينظر: المكان في قصص الفهادي: ١٤.

(41) ينظر: البناء الفني في الرواية العربية في العراق: ١٤٧.

(42) ينظر: المصطلح السردي في النقد العربي الحديث: 47.

(43) ينظر: تحليل النص السردي:205.

(44) خلف السدة:21-20.

(45) ينظر: البناء الفني في الرواية العربية في العراق:١٤٩.

(46) خلف السدة: 118.

(47) المصدر نفسه: 16.

(48) ينظر: لسان العرب: مادة (غرب): 344.

(49) خلف السدة: 38.

(50) المصدر نفسه: 16.

(51) المصدر نفسه: 119

(52) الاغتراب:28.

(53) خلف السدة: 115.

(54) المصدر نفسه: 211.

(55) المصدر نفسه: 246.

(65) المصدر نفسه: 60.

(57) خلف السدة: 146.

(58) المصدر نفسه: 216.

(59) المصدر نفسه: 28.

(60) ينظر: البناء الفني في الرواية العربية في العراق (الوصف والمكان): 25- 26- 91.

(61) اللاجئ العراقي: 15.

(62) المصدر نفسه: 137.

(63) المصدر نفسه: 135.

(64) المصدر نفسه:16.

(65) المصدرنفسه: 35.

(66) المصدرنفسه: 141.

(67) المصدرنفسه: 13.

(68) المصدرنفسه: 143.

(68) المصدر نفسه: 194.

مصادر البحث ومراجعه:

1- أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ)، تح، السيد محمد رشيد رضا، دار المطبوعات العربية – مصر، ط2، (د.ت).

2- الاغتراب: ريتشارد ،شاخت ، ترجمة كامل يوسف حسين المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 3 أجزاء ،1980م

3- البناء الفني في الرواية العربية في العراق (الوصف والمكان) ، شجاع مسلم العاني، دار الشؤون الثقافية العامة افاق عربية ، ط1، 2007 .

4- البناء الفني في الرواية العربية في العراق: شجاع مسلم العاني، دار الشؤون الثقافية في العراق،2000م.

5- بنية الشكل الروائي: حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 1990م.

6-البيان والتبيين: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت255هـ)، تح: حسن السندوبي، المطبعة الرحمانية- القاهرة،1932م.

7-جماليات المكان: غاستون باشلار، ترجمة، جورج سعد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت. ط1.

8-خلف السدة: عبدالله صخي، دار المدى للثقافة والنشر، ط أولى، 2008م.

9-دروب الفقدان: عبدالله صخي، دار المدى للثقافة والنشر، ط أولى، 2013.

10-الرواية العربية: روجرآلن، مجلة الجامعة الاسلامية: المجلد 15، عدد2، 2007، ترجمة حصة منيف مصر، المجلس الأعلى للثقافة.

11-الرواية والمكان: ياسين نصير، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

12-سرد الامثال في البنية السردية لكتب الامثال العربية: لؤي حمزة عباس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1992.

13-كتابات موقع على الانترنيت. سبتمبر 11، 2020. Kitabat.com.

14-اللاجئ العراقي: عبدالله صخي، دار المدى للثقافة والنشر، ط اولى2017

15-لسان العرب: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت11هـ)، الدار المصرية

16-محمد راضي جعفر الغربة والاغتراب في الشعر العراقي المعاصر، رسالة ماجستير في آداب اللغة العربية، ١٩٩٥م

17-المصطلح السردي في النقد العربي الحديث: احمد رحيم الخفاجي، دار الحوار للنشر والتوزيع،2017

18-معاني الأبنية في العربية: د. فاضل صالح السامرائي، جامعة الكويت، 1981م.

19-معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبي وكامل المهندس، بيروت: مكتبة لبنان، (منقحة ومزيدة)، ١٩٨٤

20-المكان في قصص الفهادي، د. نهان حسون السعدون دراسات موصلية العدد (43) مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل.

21- الملحمة والرواية: ميخائيل باختين، ترجمة جمال شحيد بيروت، معهد الإنماء العربي، ط. ١، ١٩٨٢.

22- منطق العرب من وجهة نظر المنطق الحديث: د. عادل فاخوري، دار الطليعة، بيروت – لبنان 1980م.

المصادر والمراجع العربية باللغة الانكليزية

1-Secrets of Rhetoric: Abd al-Qahir al-Jurjani (d. 471 AH), ed., Al-Sayyid Muhammad Rashid Reda, Arab Publications House - Egypt, 2nd ed., (ed.).

2-The Alienation Institution: Richard Schacht, translated by Kamel Youssef Hussein, Arab League and Publishing, Beirut, 1st edition, 3 parts, 1980 AD.

3-The Artistic Structure in the Arabic Novel in Iraq (Description and Place), Shujaa Muslim Al-Ani, Arab Horizons House of General Cultural Affairs, 1st edition, 2007.

4-The Creator of the Arabic Novel in Iraq: Shujaa Muslim Al-Ani, House of Cultural Affairs, Iraq, 2000 AD.

5-The Structure of the Novel Form: Hassan Bahrawi, Arab Cultural Center, first edition, 1990 AD.

6-Al-Bayan wal-Tabyin: Al-Jahiz, Abu Othman Amr bin Bahr (d. 255 AH), edited by: Hassan Al-Sandubi, Al-Rahmaniyah Press - Cairo, 1932 AD.

7-Aesthetics of Place: Gaston Bachelard, translated by George Saad, University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, Beirut. 1st edition.

8-Khalaf Al-Sadda: Abdullah Sakhi, Dar Al-Mada for Culture and Publishing, first edition, 2008 AD.

9-Paths of Loss: Abdullah Sakhi, Dar Al Mada for Culture and Publishing, first edition, 2013.

10-The Arabic Novel: Roger Allen, translated by Hessa Munif Egypt: Supreme Council of Culture, AD1997.

11-The novel and the place: Yassin Nusair, House of General Cultural Affairs, Baghdad.

12-Narrating proverbs in the narrative structure of Arabic proverb books: Louay Hamza Abbas, Arab Writers Union Publications, Damascus.1982

Wrights on the internet- 13

14-The Iraqi refugee: Abd-Allah sakhy, Dar Al Mada for Culture and Publishing, first edition, 2017

15 -Lisan al-Arab: Ibn al-Adasa, Jamal al-Din Muhammad bin Makram al-Ansari (d. AH), Dar al-Misriyah.

16-Muhammad Radi Jaafar Alienation and Alienation in Contemporary Iraqi Poetry, Master's Thesis in Arabic Language Arts, AD1995.

17-The term "sardi" in modern Arab criticism: Ahmed Rahim Al-Khafaji, Dar Al-Hiwar for 2017 Publishing and Distribution, .

18-Meanings of buildings in Arabic: Dr. Fadel Saleh Al-

19-Dictionary of Arabic Terms in Language and Literature: Majdi Wehbe and Kamel Al-1984Muhandis, Beirut: Lebanon Library, (revised and expanded), .

20-Place in Al-Fahadi's Stories, Dr. Nabhan Hassoun Al-Saadoun, Mosul Studies, Issue(Mosul Studies Center, University of Mosul43).

21-The epic and the novel: Mikhail Bakhtin, translated by Jamal Shahid, Beirut, Arab Development Institute, ed. .1982.1

22-Arab logic from the point of view of modern logic: Dr. Adel Fakhoury, Dar Al-Tali'ah, Beirut - Lebanon, AD1980.

Place in Abdullah Sakhi's novels(Behind the Dam, Paths of Loss, The Iraqi Refugee)

Assist Lect .Saad abdesadaa meziel

College of Engineering- Al-Mustansiriya University

Saadabdalfreje@uomustansiriyah.edu.iq

Keywords: Novel, The Place, Abdullah Sakhi

Summary:

Abdullah Sakhi: A novelist who was born and educated in Iraq. He has novels that were credited with shedding light on an important era in the lives of Iraqis and building it, after it would have disappeared and been forgotten with time. So Sakhi was in his novels (Behind the Dam, Paths of Loss, and The Iraqi Refugee) He has the upper hand in recalling those past years of Iraq's history and highlighting a place that was desolate and transformed into a vibrant city that has an active role in Iraq's history.

It dealt with place in Sakhi's novels and shed light on the narrative value of place. Place in the three novels Behind the Dam, Paths of Loss, and the Iraqi Refugee are places in the Iraqi reality that have a place in the thoughts of the novelist. Abdullah Sakhi, in his exile, tried to cling to his past that he lived in as a child. And made him a bridge to which he could hold on and help him in his harsh ordeal (estrangement), so the three novels were a memorial of the place in which he lived and engraved in his memories. For this reason, the research was divided into two requirements: the first, the friendly place, and the second, the hostile place. It was necessary to research these two requirements and clarify their importance in Abdullah Sakhi's novels.